

اعداد / أ.د. مختار رحاب

الباب الأول (الدرس 1) : مفهوم علم الأنثروبولوجيا:

الأنثروبولوجيا، محاولة التعريف والتحديد

لقد انشغل الإنسان منذ قديم الزمان بمحاولة فهم ما يدور حوله من الظواهر الطبيعية والكونية التي يعتبر جزءا منها، بل يشكل مركز هذا الكون، كما سعى الإنسان كذلك إلى العمل على استجلاء وفهم أسرار ومكونات الطبيعة البشرية، وكذا الاختلافات والفروق القائمة بين الأجناس البشرية من حيث العرق، الانتماء، اللون، الطبقة، العادات والتقاليد... ومن هذه الاهتمامات المختلفة الجوانب طرح الإنسان جملة من التساؤلات والإشكالات، وسعى لتقديم إجابات وحلول لها، حيث انبثق التفكير العلمي وانتظم لاحقا في فترات من تقدمه وتطوره، في شكل تقسيمات وفروع علمية عدة، نذكر من بين هذه الفروع العلمية ما اصطلح على تسميته ب"الأنثروبولوجيا" أو "علم الاناسة" أو "علم الإنسان" ، وكان من أبرز معاني هذا التخصص هو ذلك العلم الشمولي الذي يدرس الإنسان دراسة شاملة ومتكاملة من حيث الجانب الفيزيقي، الثقافي، الاجتماعي، والحضاري.

ويختلف معنى الأنثروبولوجيا من بلد إلى آخر. خصوصا في فترة ما بعد عصر النهضة الأوروبية وتحديدا في الفترة التي تشكل فيها علم الأنثروبولوجيا واكتسب الصبغة الأكاديمية، فكان ما يدرجه البريطانيون تحت مسمى الأنثروبولوجيا الاجتماعية، يضعه الأمريكيون تحت عنوان الأنثروبولوجيا الثقافية، وأصطلح على تسميته بالانثولوجيا في الجامعات والمعاهد العلمية بفرنسا وغالبا ما أدرجت تحت مظلة علم الاجتماع في هذا البلد.

وظل الوضع في البلدان الأوروبية حول هذه المسألة الاصطلاحية يختلف من قطر إلى آخر تبعا لاختلاف المصالح القومية، وقبلها التباين في الخلفيات الثقافية لكل بلد، فقد ذكر "جون بواربيه" حول مصطلح "أنثروبولوجيا" أنها أول ما ظهرت كانت لدى علماء الطبيعة من خلال كتاباتهم إبان القرن الثامن

اعداد / أ.د. مختار رحاب

عشر وكانت تعني تتبع ودراسة مسار التاريخ الطبيعي للإنسان، حيث يرى أن أول من أدخل كلمة "أنثروبولوجيا" هو "جوهان بلومينباخ" عالم الطبيعة الألماني للمقررات الجامعية الخاصة بتدريس التاريخ الطبيعي للإنسان، كما كان قد أشيع استخدام مصطلح أنثروبولوجيا مع الفيلسوف الألماني "ايمانويل كانط" من خلال منشوره "الأنثروبولوجيا" من منظور علمي⁽¹⁾

أما في الاتحاد السوفياتي سابقا حول الأنثروبولوجيا دوما من ناحية التسمية والاصطلاح فقد شاع استخدام مصطلح "الاثوغرافيا" وكانت تعني عندهم الاهتمام بدراسة التنظيم الاجتماعي للمجتمع البدائي، مع التركيز على ما يحدث ويقع في هذه البيئات من تحولات وتغيرات عندما يتم هيكلتها إلى مجتمعات ودول جديدة، وما يصاحب ذلك من تأثيرات وتغيرات في الجانب الثقافي بشقيه المادي والمعنوي، وكذا الجانب الاجتماعي خصوصا فيما يتعلق ببروز الطبقات الاجتماعية، كما يهتمون بدراسة المشاكل المتصلة بالأعراق والانتماءات العشائرية والقومية للأقليات، وكذا مسار تطور المجتمعات الإنسانية من منظور ماركسي⁽²⁾

لقد تعددت الآراء وتباينت الرؤى حول تعريف الأنثروبولوجيا، أو ما يسمى في التراث العربي ب"علم الاناسة"، ومحاولة إعطاء دلالات لهذا المصطلح، وإذا أمعنا النظر في مصطلح "Anthropologie" الفرنسي، و"Anthropology" الانجليزي. نجد أن حضورهما في المعاجم والقواميس العربية حديث إن لم نقل معاصرا، وهذا الأمر الأخير يستوجب علينا علميا ومنهجيا استقراء المعاجم الغربية من أجل الحصول على مدلول كلمة "أنثروبولوجيا".

وهذا لا يعني أن الفكر الأنثروبولوجي لم يعرفه العرب من قبل، فقد كانت لهم العديد من الإسهامات القيمة والتي سنأتي على ذكرها في الفصول القادمة من هذا الكتاب، وإنما ركزنا هنا على مدلول كلمة "أنثروبولوجيا" من خلال المعاجم العربية ذلك أن النشأة الأكاديمية للأنثروبولوجيا كعلم كانت بالجامعات الغربية.

¹ - طالب ناهي الخفاجي: نظرتنا المعاصرة إلى الكون، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1981.

² - فرانسيس كريك: طبيعة الحياة، ترجمة أحمد مستحبر، عالم المعرفة، الكويت.

اعداد / أ.د. مختار رحاب

فإذا فحصنا قاموس le Nouveau petit Robert Dictionnaire Alfabétique et Analogique de la Langue Française. فنجد أن لفظة أنثروبولوجيا أدرجت في المعجم الفرنسي عام 1932 وتدل على علم أو وصف الإنسان.⁽³⁾

أما في اللغة الانجليزية فقد ظهر اصطلاح "أنثروبولوجيا" عام 1655 في كتاب مجهول المؤلف والذي كان تحت عنوان "Anthropology abstracted" وكان الموضوع الرئيسي للكتاب هو الطبيعة البشرية، وضم الكتاب قسمين أحدهما تطرق لعلم النفس، والآخر لعلم التشريح.⁽⁴⁾

وبالتالي فمصطلح أنثروبولوجيا هو تعريب لكلمة anthropologie I الفرنسية، Anthropology الانجليزية، وكلا المصطلحين الفرنسي والانجليزي مشتق من اللفظتين اللاتينيتين Anthropol والتي تعني الإنسان، وكلمة logos أو logia والتي تعني منطق أو علم أو دراسة، وبالتالي فالمعنى اللفظي للاصطلاح هو علم الإنسان.

³ - le Nouveau petit Robert Dictionnaire Alfabétique et Analogique de la Langue Française. Paris .France . Juin 19960

⁴ - Winick,c, Dictionary of Anthropology Littlefield Adams, U.S,A,1961.